اجتهادات
بين بيكيتى و فريدمان

هل يوجد تعارض بالضرورة بين الاشتغال بالعلم والعمل السياسى، ولماذا نقسو على عالم الاقتصاد الفرنسى التقدمى توماس بيكيتى، وهو ليس أول العُلماء الذين اتخذوا مواقف سياسية، وألم يلعب ملتون فريدمان مؤسس الليبرالية الجديدة دورًا سياسيًا كبيرًا فى السبعينيات والثمانينيات؟

أسئلة مُهمة طُرحت تعقيبًا على الاجتهاد المنشور فى 12 ديسمبر (بين العلم والسياسة)، واعتراضًا على الأطروحة الأساسية فيه، وهى أن العِلم خسر بيكيتى عالِمًا اقتصاديًا تشتد الحاجة إلى مثله لإحداث توازن مع أطروحات أكاديميى الليبرالية الجديدة.

صحيح أن فريدمان، الذى وضع أسس الليبرالية الجديدة لعب دورًا سياسيًا، ولكنه يختلف عما اتجه إليه بيكيتى أخيرًا فى أمرين. الأول أن فريدمان لعب هذا الدور، ومارس تأثيرًا كبيرًا عن طريقه، فى مجال الاستشارات. فكان مُستشارًا لكل من رئيسة الوزراء البريطانية ثاتشر، والرئيس الأمريكى ريجان، وأسهمت أفكاره فى تحولات اقتصادية حدثت فى عهد كل منهما. ولكن فريدمان حرص على أن تبقى إسهاماته معرفية غير مُسيسة بشكل مباشر، بخلاف ما فعله بيكيتى فى كتابه الأخير (وقت للاشتراكية – رسائل من عالم يشتعل)، الذى يبدو أقرب إلى بيان سياسى طويل منه إلى دراسة علمية. صحيح أن بيكيتى لا تتوافر له فرصة لأداء دور استشارى مؤثر سياسيًا فى الظرف العالمى الراهن، بخلاف ما أُتيح لفريدمان. ولكن فى إمكان بيكيتى أن يقوم بتطوير ما بدأه، مع تلاميذه

الذين يدرسون الاقتصاد علميًا بحق، ويؤمنون فى الوقت نفسه بالعدالة والمساواة.

لم يخلع فريدمان ثوب الأستاذ الباحث، وشجع تلاميذه على تجاوز إسهاماته، واستخدام مناهج الاقتصاد الحديث لتطوير أفكاره بطريقة أكثر علمية، ولم يُصدر كتابًا "رساليًا" من نوع كتاب بيكيتى الأخير.

أما الفرق الثانى فهو أن فريدمان كان أستاذ اقتصاد سياسيا تقليديا ولكنه نابه وقادر على بلورة أفكار ورؤى وبناء نظريات عليها، ولم يتعلم مناهج الاقتصاد الحديث الأكثر علمية، بخلاف بيكيتى المُلم بها كما يتضح فى كتابه (رأس المال فى القرن 21). وكان فى إمكانه أن يُواصل استخدامها ويُطورها مع تلاميذه لتقديم أطروحات مضادة لما طرحه، ويطرحه، تلاميذ فريدمان.